@ 445 @ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ } ، وقوله : { إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ } فالاستثناء يدل على أن له سلطاناً على من اتبعه من الغاوين : مع أنه نفى عنه السلطان عليهم في آيات أخر . كقوله : { وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلاَّ فَرِيقاً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِّن سُلْطَانٍ } . . وقوله تعالى حاكياً عنه مقرراً له : { فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِى } . .

فالجواب هو : أن السلطان الذي أثبته له عليهم غير السلطان الذي نفاه ، وذلك من وجهين . :

الأول أن السلطان المثبت له هو سلطان إضلاله لهم بتزيينه ، والسلطان المنفي هو سلطان الحجة . فلم يكن لإبليس عليهم من حجة يتسلط بها ، غير أَنه دعاهم فأجابوه بلا حجة ولا برهان . وإطلاق السلطان على البرهان كثير في القرآن . .

الثاني أن ا لم يجعل له عليهم سلطاناً ابتداء البتة ، ولكنهم هم الذين سلَّطوه على أنفسهم بطاعاته ودخولهم في حزبه ، فلم يتسلط عليهم بقوة . لأن ا يقول : { إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً } . وإنما تسلط عليهم بإرادتهم واختيارهم . .

ذكر هذا الجواب بوجهيه العلامة ابن القيم رحمه ا . وقد بينا هذا في كتابنا (دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب) . قوله تعالى : { وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُواْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ } . ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة : أنه إذا بدل آية مكان آية ، بأن نسخ آية أو أنساها ، وأتى بخير منها أو مثلها أن الكفار يجعلون ذلك سبباً للطعن في الرسول صلى ا عليه وسلم . بادعاء أنه كاذب على ا ، مفتر عليه . زعماً منهم أن نسخ الآية بالآية يلزمه البداء ، وهو الرأي المجدد ، وأن ذلك مستحيل على ا . فيفهم عندهم من ذلك أن النَّبي صلى ا عليه وسلم مفتر على ا ، زاعمين أنه لو كان من ا لأقره وأثبته ، ولم يطرأ له فيه رأي متجدد حتى ينسخه . .

والدليل على أن قوله : { بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ } معناه : نسخنا آية وأنسيناها قوله تعالى : { مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا } ، وقوله : { سَنُقْرِئُكَ فَلاَ